

الإثنيون 2011-08-22

## 1452- تسابيح رمضان

## تعنته التحرير

المعرفة طريق إلى الله، والمعرفة الحقيقية تحتاج منك جهادا خاصا لتعرف ما لا تعرف، وتقبل ما لا تحمل، وتفرح بما أضافت، وكلما عرفت أكثر، اقتربت منه أكثر.

في كتاب حديث نسياء، يربط المؤلف بين التصوف الشرقي، (الشرق الأقصى بالذات) وبين الفيزياء الحديثة، تعلمت ما لم أكن أعلم عن الهندوسية والتاوية، ومن كتاب **"الموت والوجود"**، تعلمت أيضا عن الهندوسية ما أثنى إسلامي على طريق سعبي، من كتب **"تاريخ التصوف"** تعلمت الوصلة بين التصوف عند غير المسلمين خاصة في جنوب شرقي آسيا وبين رؤية العارفين بالله من المسلمين.

أما من الكتاب السفر الضخم الذي قامت بتأليفه تلك الألمانية الرائعة **"أنا ماري شيمل"** بعنوان **"الأبعاد الصوفية في الإسلام"**، وتاريخ التصوف، فقد فوجئت بهذه الثروة الموثقة، بقدر ما فوجئت بروعة الاتقان والحب الذي كتبت به المؤلفة الكتاب، هذه العالة الموضوعية الأمينة.

حين كتبت عن أن الإسلام لا يكون حلا (الوفد 2011/8/3) إلا إذا كان طريقا للإيمان، سألتني كثير من الأصدقاء عن الفرق بين الإسلام والإيمان، وهل هذا الذي كتبت به من قبيل التصوف أم ماذا؟ لم أعرف كيف أجيبهم وعقولهم مملوءة بما هي مملوءة به. كلما نعتني أحدهم بالتصوف استغربت ونفيت، ليس تواضعا، ولكن جهلا وحرجا، أنا فعلا لست متمصفا، ولا أحب أن أوصف بهذه الصفة التي لا أستحقها، وربما تفصلني - دون إذن - عن عامة الناس.

سألتني آخرون عن علاقة كل ذلك بمليونية الجمعة الأخيرة التي دعت إليها الطرق المتصوفة ردا على مليونية التباهي والتكائر والتهديد، وقد علمت أثناء كتابتي هذا المقال أن هذه المليونية الرذ لم تنجح جدا، مع أنها كانت حسنة النية في محاولة أن تجمع خليطا غير متجانس من الأقباط والثوار الأحرار والمثقفين الطيبين؟ ولم أجد عندي ربطا منطقيا بين ما أدعو إليه وهذه المليونية المجهضة.

سألني فريق ثالث عن علاقة كل ذلك بما جرى في الموالد في طول القطر المصرى وعرضه، وخصوصا أن الذين يفضلون أن يعبدوا الله من خلف مكاتبهم وبين صفحات الكتب والمعاجم، (وأيضا من لا يعرفون لهم ربا أصلا) يعترضون عليها اعتراضا فوقيا، ويصفونها بالتخلف وماشابه، وحين أحاول أن أقول لهم إن ما يصلنى من هذا الذى جرى هو تسبيح آخر، بلغة أخرى، لا تقال عادة ونحن جلوس على المكاتب أو بين الكتب والمعاجم، يعترضون اعتراضا بالغا، ويتهمونى أننى لا أعرف معنى التسبيح لأننى لست ضليعا فى لغتى، وأحاول أن أفزهم من احترام ما لا يعرفون، أو حتى تأجيل الحكم، فيوصلون وصفى بالجهل والتجاوز، (ولو بين أنفسهم)، وحين يواصلون الإصرار على أن أعزف لهم ما أعنى بالتسبيح" أقول وأنا أشك فى قدرتى على الإيضاح أكثر: "إذا كنا لا نعرف اللغة التى يسبح بها الطير والجبال والسموات والأرض وما بينهما لرينا وربهم، فكيف نعترض على لغة مجرد أنها غير مألوفة للسادة الجلوس على المكاتب فى حجرات إصدار الأحكام؟

### المهم:

رحت أقلب أوراقى، وفى موقعى، وبالذات حول ما سجلت من إجابات محتملة لهذه التساؤلات، فلم أجد إلا ما يشبه تساؤلات موازية، فضلت أن أقتطف منها ما يكمل هذه المقدمة بما يليق بهذا الشهر السمع الكريم، دون تعليق، وإليكم بعض ذلك:

1) لو أنك سألت شابا مصرية اسمه أحمد إبراهيم عبد المهيم، وعمره 21 سنة، طالبا جامعا، متفوقا، متدينا، والده مهندس مدنى، ووالدته اخوائية اجتماعية، وأخته مسافرة مع زوجها المدرس فى دى، وهو غير متعصب، ويؤدى عبادته بالتزام سلس، ويمارس ما يمارسه الشبان فى السر أحيانا، ويستغفر، ويذهب إلى صالة الألعاب (الجيم) أحيانا، لو أنك سألتها عما يعرفه عن الهندوسية، أو البوذية،

### بم سيحبك؟

2) ولو أنك سألت زميله حسن محمد فاضل، (نفس السن) وهما عائدان من صلاة العصر فى المسجد، عن رأيه أين ستهب طنط تريزا (عمرها 65) سنة، أم صديقهما رياض فهمى رياض، سألته أين ستهب طنط هذه بعد موتها؟ للجنة أم للنار؟ وهل هو اجتهد أن يبلغها ما يعتقد أنه الدين الصحيح جدا أم أنه قصر فى ذلك، واحتمال أن تذهب للنار بسبب تقصيره هذا، لا بسبب أن أباهما كان من دين آخر، ولماذا لم يبلغها الصواب جدا، بما أنه مجبها مثل أمه جدا، بل إن أمه قد أبلغته أنها قد أرضعته عددا من الرضعات،

### بم سيحبك؟

3) ولو أنك سألت فايضة عبد المسيح وهى فتاة مسيحية طيبة عمرها 19 سنة، متدينة، وليست متعصبة، "تتناول" كل أسبوعين أو ثلاثة، "وتعترف" كل شهرين أو أكثر، ولا تضع مساحيق فجة، وتشاهد "روتانا زمان" مع أمها، كما تشاهد

"ميلودي هتس" وحدها، وتتنقن حشو "الكوسة" دون أن تنثقب منها أية واحدة، وتسرح أحيانا فيما لا نعرف، لو أنك سألت هذه البنت التي جمالها فوق المتوسط، سألتها نفس الأسئلة، التي سألتها لأى من الشابين السابقين، مع التحويرات اللازمة للأسماء والضمائر، وتبادل مواضع الأديان في الأسئلة السابقة، **بم ستجيبك؟**

**4** لكن لو أنك سألت خالتي "أم حنا" من بنى سوف عن مصير جارتها "خالتي بهانة أم محمد"، لما أحتجت أن تكمل سؤالك لأنها سوف تتعجب لسؤالك، وتقاطعك لتفهمك مدى اتساع رحمة ربنا لهما ولك.

### وبعد

لو أنك عدت فسألت نفسك - عزيزى القارئ بعد إذنك - نفس الأسئلة أو مثلها، وكنت يقطا بما فيه الكفاية، فوجدت نفسك تجيب إجابات مختلفة عن رمضان الماضى، فهل ستفرح أم تنزعج وتستغفر؟

**وأخيرا:** لو أنك توجهت إلى الله سبحانه وتعالى - في هذه الأيام المفترجة - تسأله الرحمة والمغفرة عن كل ما اقترفت من أكاذيب على نفسك، فبم سيجيبك ربنا من وجهة نظرك؟

ولعلمك، فقد سألت نفسى مثل كل أصدقائى هؤلاء ومثلك، وجاءتنى الإجابة أقرب إلى إجابة خالتي أم حنا، وأن الله سبحانه وتعالى سوف يرحمك ويرحمى بقدر ما اجتهدنا في الإجابة، وبقدر ما غامرنا بإزاحة ما كان قد وصلنا سابقا من أى مصدر مهما بلغ علو صوته ويقينه بعلمه أو معلوماته.

أما إذا كنت قد استندت في إجاباتك لغير ما وصلك من قلبك السليم، واعتمدت على ما بلغك من أفتى لك بعكس ذلك، فاحذر أن يتبرأ منك هذا الذى اتبعته، فجعلك تخون فطرتك، وأسرع بتصحيح إجاباتك، لأنه لن تكون لك كرة كى تبرأ منه كما تبرأ منك..

رمضان كريم .